

الفصل الثالث

علاقة الخديو عباس الثاني بمصطفى كامل

- ١ — نشأة مصطفى كامل ومصادر ثقافته •
- ٢ — ظهور مصطفى كامل ومساعدات الخديو المالية له •
- ٣ — الخطوط الرئيسية لسياسة مصطفى كامل تجاه الاحتلال •
- ٤ — أهداف مصطفى كامل والخديو من مقاومة الاحتلال •
- ٥ — نشاط مصطفى كامل في أوروبا وعلاقته بجوليت آدم •

١ - نشأة مصطفى كامل ومصادر ثقافته :

ولد مصطفى كامل بحارة درب الميضة بشارع شيخون بالصليبية بحى الخليفة بمدينة القاهرة في ١٤ أغسطس ١٨٧٤^(١) أى في نفس السنة التى ولد فيها الخديو عباس الثانى وينتمى والده على محمد الى أسرة ميسورة الحال اشتهلت بالتجارة منذ زمن طويل في مديرية الغربية، وقد تلقى علومه العسكرية بطرة وبالقائكة وتخرج ضابطاً مهندساً ، وعمل في بناء الكبارى والثكنات في عهد محمد على ثم أدرك عهدى عباس الأول وسعيد ثم أحيل الى الاستداع في عهد اسماعيل ولكنه لم يركن الى الراحة بل سعى حتى عين مهندساً ملكياً بوزارة الأشغال وظل بها حتى أحيل الى المعاش في سنة ١٨٧٧^(٢) .

وقد كان مصطفى كامل أجد سبعة أبناء وابنتين أنجبهم أبوه من زوجتين كانت الأخيرة منهما هي السيدة حفيظة هانم كريمة اليوزباشى محمد فهمى وهي والد مصطفى كامل والتي كان لها أثر كبير في نشأته، فقد كانت على جانب كبير من مكارم الأخلاق ، وكان مصطفى كامل يعزها ويجلها ويشيد بذكرها طوال حياته ، وقد انطبعت فيه أخلاقها من صفاء النفس وحب الخير والصبر والجلد^(٣) .

وكان من عادة والد مصطفى كامل أنه اذا بلغ أحد أولاده سن

(١) متحف التعليم : البعثات العلمية في القرن التاسع عشر ج ٢ ، ص ٢٤١.

(٢) د. عبد اللطيف حمزة ، أدب المقالة الصحفية في مصر ج ٥ ، ص ٥٠ .
مصطفى كامل صاحب اللواء . القاهرة - دار الفكر العربى - الطبعة الأولى ، ص ٤١ .

(٣) الرامى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ص ٢١ .

الخامسة أرسله الى فقيه يلقنه مبادئ القراءة والكتابة ثم يبعثه الى الكتاب ليحفظ القرآن حتى يتم السادسة ويلحقه بمدرسة حكومية ، وقد بدت على مصطفى كامل ملامح الذكاء والنجابية : بقوة الذاكرة في طفولته ، وكان كثير الاهتمام بما يحدثه والده من القصص المستفادة من تاريخ مصر فكان يعيها ويجادل فيها ويناقشها مع اخوته ويدافع عن وجهة نظره بثقة وقوة .

وقد أتم مصطفى كامل حفظ القرآن الكريم وهو في السابعة من عمره وتلقى دراسته الأولى في ثلاث مدارس هي مدرسة «البحر» عباسي الأول ومدرسة السيدة زينب التابعة للأوقاف ومدرسة القرية التي نال منها مصطفى كامل الشهادة الابتدائية عام ١٨٨٧ وكان يومئذ في الثالثة عشرة من عمره .

وكانت طفولة مصطفى كامل مليئة بالأحداث فقد عاش عزى لناديو اسماعيل وثورة عرابي ومذبحة الاسكندرية وشرب الأسطول الإنكليزي لها بالقنابل ودخول الجنرال ولسلي Wolseley القاهرة وفشل سياسة فرنسا في مصر (١) .

وتلقى مصطفى كامل دراسته الثانوية في المدرسة الخديوية عام ١٨٨٧ واستطاع أن ينال احترام أساتذته وزملائه له .

وقد نال مصطفى كامل الشهادة الثانوية في صيف عام ١٨٩١ ثم تلقى دراسته العليا في أربع كليات هي الحقوق الخديوية والحقوق الفرنسية وحقوق باريس وحقوق تولوز .

والجدير بالذكر أن مصطفى كامل لم يترك مدرسة من المدارس التي تلقى فيها العلم الا وكان له فيها حدام غني ففى ختام دراسته

(١) احمد رشيد : مصطفى كامل حياته وكفاحه ، ص ٢٠ .

الابتدائية كان أول فرقة وجاء موعد توزيع الجوائز على الناجحين الخديو ووزير المعارف الحفل وكلف مصطفى كامل بالقاء كلمة في هذه المناسبة نالت اعجاب الحاضرين فهناك الخديو توفيق على فصاحته وسأله عن اسمه واسم أبيه وعن سنه وكان ضابط المدرسة يقف وراء كل تلميذ يتسلم شهادة فأخذ يشير الى مصطفى بأن يضيف كلمة عبدك قبل أن ينطق اسمه واسم أبيه ولكن مصطفى لم يقلها ولما انتهى الحفل اقترب مصطفى من الضابط وقال له : « ما كان أبى عبدا لأحد وما كنت كذلك » .

والمختص لهذه الرواية يجد أنه بجانبها بعض الصواب . حقيقة أن مصطفى كامل حضر الحفل وأنه كان أول فرقة وأنه ارتجل خطابا في تحية الخديو كل هذا لا يحتمل الشك فمصطفى كامل ظهر عليه النبوغ منذ صغره ، ولكن موضوع رفض مصطفى أن يقول للخديو عبدك فأننا نرى أن لهجة هذا العصر كانت تقضى بذكر كلمات مثل عبدك وخادمك وما شابه ذلك وهذا ليس ببعيد على مصطفى كامل فالخطابات التي أرسلها مصطفى فيما بعد للخديو أو لعبد الرخيم أحمد وكيل الإدارة العربية بالمعية السنية بها ما يثبت ذلك ^(٦) وعلى سبيل المثال ففي الخطاب رقم (١) من مجموعة الرسائل والمؤرخ في ٨ يونيو ١٨٩٥ نجد في نهايته « أعرضوا نص خطابي هذا على كعبة آمالي سيدي الأعلى » وفي الخطاب المؤرخ في ٢٧ يونيو ١٨٩٥ نجد « ورضاء مولاي منتهى رغبتى فلو أمرنى أعزه الله بأن أذبح خدمة لبلادي ولشخصه الجليل ما تأخرت » وفي الخطاب المؤرخ في ٤ أغسطس ١٨٩٥ نجد « لا تنسوا عرض كل ما أرسله اليكم ولو تعرضوا ملخصه على أنظار سمو مولاي وكعبة آمالي الذي ما دمت محل ثقته قدمت روحى ونفسي قربانا في خدمته وخدمة بلادي » .

(٥) أحمد رشاد : المرجع السابق ، ص ٢٢ .

(٦) د. محمد أنيس : صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى

كامل .

وفي نهاية السنة الأولى الدراسية التجهيزية رسب مصطفى كامل في إحدى المواد نتيجة لقرار أصدرته الوزارة برفع درجة النجاح إلى ١٦ من ٢٠ وهي نسبة عالية وغير معهودة حتى في أيامنا هذه وصادف أن كان ترتيب مصطفى كامل السابع في فصله الذي كان يضم خمسة وستين طالبا ، ومع ذلك لم يستطع الحصول على المتوسط المطلوب الذي لم يحصل عليه سوى تلميذين فقط ، وفكر مصطفى كامل في أن ينقذ نفسه وزملاءه من هذا القرار فانطلق إلى نظارة المعارف ، وكان على مبارك ناظرها ، ولما وصل إلى باب غرفته طلب مقابلته فرفض الحاجب طلبه فأغهمه مصطفى كامل أنه ابن الوزير ، فأفسح له الطريق ، ولما اقترب مصطفى من مكتب الوزير صاح قائلاً أنا ابن الوزير في العلم فاستقبله الوزير وسأله عن المشكلة ، فعرض عليه مصطفى القضية وشكا له كيف نظام الامتحان واقتنع الوزير بحجة الطالب وألغى القرار (٧) بعد أن أحس بعدالة الشكوى (٨) .

وهكذا كان لجرأة مصطفى كامل ورفضه للضيم أثر في إلغاء قرار وزارة المعارف .

وفي عام ١٨٩١ وبينما كان على مبارك يقوم بجولة تفتيشية على المدارس زار المدرسة الخديوية وسأل مصطفى كامل عما ينوي أن يفعله بعد تخرجه فأجابه « أن أعظم الرجال شأنًا هو من يحرر بلاده وينقذ أمته من ربة الذل والاسترقاق وأنا أطمح في أن أكون ذلك المحرر الذي يكتب ويخطب ويجاهد في سبيل تحرير وطنه من الذل » وقد أعجب ناظر المعارف برد مصطفى كامل ولقبه « امرؤ القيس » ثم أخذ يتعهد بنصائحه وكثيرا ما دعاه إلى منزله وقدمه إلى زواره من العلماء والساسة والصحفيين (٩) .

(٧) أحمد رشاد : المرجع السابق ، ص ٣٤ — ٣٦ .

(٨) محمد حسين هيكل : شخصيات مصرية وغربية ، ص ٤٨ .

(٩) أحمد رشاد : المرجع السابق .

وبعد أن حصل مصطفى كامل على شهادة الدراسة الثانوية عام ١٨٩١ عزم على أن يدخل مدرسة الحقوق لأنها كانت الوسيلة إلى الهدف الذي خطه لنفسه فهي مدرسة الكتابة والخطابة ومعرفة حقوق الأفراد والأمم .

وبعد عام واحد من التحاق مصطفى كامل بمدرسة الحقوق التحق أيضاً بمدرسة الحقوق الفرنسية ، وجمع بين المدرستين واستطاع الحصول على شهادة الحقوق من كلية تولوز في نوفمبر ١٨٩٤ وكان عمره حوالي عشرين عاماً .

تلك كانت مراحل التعليم التي مر بها مصطفى كامل ، وتلك كانت حدود ثقافته التي حصل عليها ، ولعل هذا القدر من الثقافة كان مشتركاً بين مصطفى وزملائه الذين تعلموا معه في مراحل التعليم المختلفة (١٠) ، ولكن تكوين مصطفى كامل واستعداداته العلمية والنفسية ، ودراساته الخاصة وباتصاله برجال الفكر والسياسة في ذلك الوقت كان لكل ذلك أكبر الأثر في تكوين شخصيته ، وفي تفوقه على أقرانه كما كان لاتصال مصطفى كامل بعلي باشا مبارك ، ثم اتصاله بعبد الله النديم عقب عودته من منفاه ، وتردده على نادى الأُميرة نازلى غاضل والمنتدى الذى كان يعقد في دار لطيف باشا سليم أكبر الأثر في تكوينه السياسى .

٢ — ظهور مصطفى كامل ومساعدات الخديو المالية له :

لعب المجتمع المصرى دوراً رئيسياً في تكوين مصطفى كامل ، لشخصيته تستمد مقوماتها من ظروف المجتمع فهو يمثل الجيل الجديد الذى ظهر بعد انكسار الحركة الوطنية وأحس بمرارة الهزيمة وشاهد جيوش الاحتلال تطل أرض بلاده فحاول أن يتجاوز مظاهر الاحباط

(١٠) عبد اللطيف حمزة : المرجع السابق ، ص ٣ — ٤ .

والفشل التي حطمت ممنويات أبناء وطنه ، فكان ظهوره بمثابة يقظة للامة وبعثا جديدا لها .

وقد تميز مصطفى كامل بحسه الثقافي والقدرة على استيعاب خبرات الماضى كما تميز بقوة الارادة والتصميم على الدفاع عن حقوق مصر والدعاية لقضيتها بالخطب والمقالات والرسائل ، فكانت وطنيته تقاوم المستحيل لدرجة أن دعوته بدت غريبة على الأذهان .

وتسائل البعض كيف تقوم حركة وطنية تنادى بالاستقلال من يد أقوى الدول نفوذا وأوسعها سلطانا (١١) .

لقد أسس مصطفى كامل وهو فى السادسة عشرة من عمره جمعية أدبية وطنية سماها جمعية الصليبية الأدبية ، وبعد أن دخل مدرسة الحقوق عمل على تأسيس جمعية احياء الوطن كما أفسح له بشاره تقلا صاحب الأهرام مكانا فى جريدته لينشر فيها مقالاته الوطنية .

والواضح أن خبرة مصطفى كامل عن أحوال مصر أيام الثورة العرابية وعند وقوع الاحتلال كانت ضعيفة خصوصا وأنه لم يكن قد بلغ الثامنة من عمره لذلك فإنه حاول الاستفادة من الذين عاصروا الأحداث فما أن سمع بخودة عبد الله النديم من منفاه حتى خف للقائه ونشأ فى مدرسته (١٢) ، وعرف منه أسباب الثورة العرابية على حقيقتها كما عرف منه مواقع الخطأ التى تورط فيها العرابيون واستطاع بصحة استاذة الناثر التعرف على حقيقة التيار السياسى فى مصر وكيف شوه الاحتلال مبادئ الثورة العرابية وخططها ثم تعلم منه القواعد التى اذا اتبعها يكون وطنيا ناجحا وهى :

(١١) الرامعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية .

(١٢) تشارلز آدمز : الاسلام والتجديد فى مصر — ترجمة عباس محمود . القاهرة ١٩٣٥ ، ص ٢١٢ .

١ — ألا يستعمل الجيش مطلقاً في حركته بل يعتمد على الرأي العام .

٢ — ألا يعادى الخديو حتى لا تنقسم الأمة كما حدث بين العربيين والخديو توفيق .

٣ — ألا ييأس مطلقاً من طريق الكفاح .

٤ — ألا يطمئن إلى الانجليز بل يحذر من دسائسهم .

وقد سار مصطفى كامل على هدى هذه التعليمات (١٣) ، ولما قام الخديو في نوفمبر ١٨٩٢ بزيارة للمدارس العالية استقبله طلابها وكان من بينهم مصطفى كامل الذى تلقى قصيدة بين يدي الخديو كان مطلعها :

بشرى الحقوق بسيد الأمراء

كنز العلاءى النعماء

وقد لفتت هذه القصيدة أنظار الخديو وأعجبه فصاحة مصطفى كامل (١٤) .

ولما حدثت الأزمة الوزارية عام ١٨٩٣ قام مصطفى كامل على رأس مظاهرة وطنية من طلبة المدارس العالية مؤيداً لموقف الخديو ومهاجماً لجريدة المقطم لوقوفها العدائى منه كما راسل مصطفى كامل الصحف وهو طالب وأنشأ مجلة المدرسة التى ظهر العدد الأول منها في يوم السبت ١٨ فبراير ١٨٩٣ .

ويذكر الدكتور عبد اللطيف حمزة أن هذه المجلة تعتبر أول مجلة مدرسية تظهر في مصر (١٥) ولكننا نرى أن مجلة روضة المدارس التى

(١٣) للتفاصيل : انظر كتابنا عبد الله التديم ودوره في الحركة السياسية والاجتماعية ، ص ٢٠٠ — ٢٠٧ .

(١٤) Le Bosphore Egyptien : 28 Novembre 1892.

(١٥) ادب المقالة الصحفية في مصر ج ٥ ، مصطفى كامل . القاهرة دار الفكر العربى ١٩٥٢ ، ص ٤٧ .

(م ٩ — الخديو عباس الثانى)

أسسها على باشا مبارك بالاشتراك مع رفاة الطهطاوى تسبق هذه المجلة حيث أنها ظهرت في عام ١٨٧٠ .

ولما أراد الخديو عباس الثانى احاطة عرشه بسياس من الوطنية اتصل بمصطفى كامل عن طريق حسن باشا عاصم رئيس الديوان (١٦) وقربه اليه ، وعندما عزم مصطفى كامل على اتمام دراسة الحقوق في أوروبا سافر الى تولوز بتعشيد من الخديو ثم عاد الى مصر في ٦ ديسمبر ١٨٩٤ بعد أن حصل على شهادة الحقوق وكان يومئذ في سن العشرين لا ليدافع عن قضايا الأفراد بل ليدافع عن حقوق أمته ، وساعده الخديو بالمال وتعهدا سرا على العمل من أجل تخليص البلاد من الاحتلال وكانا يجتمعان بمسجد النبري بسرى القبة (١٧) .

ويتضح تعشيد الخديو لمصطفى كامل من المراسلات التى نشرها الدكتور محمد أنيس تحت عنوان صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل ، كما يتضح أن الخديو لم يكن وحده هو الذى يمد مصطفى كامل بالمال بل كانت هناك مصادر أخرى تمد به خصوصا بعد أن توقف الخديو عن مساعدة مصطفى كامل .

وعن مساعدة الخديو لمصطفى كامل بالمال يذكر محمد حسين هيكل أن الخديو هو الذى تولى الاتفاق على مصطفى كامل لتعليمه في الخارج لما توسم فيه من الذكاء والاقدام لمعاونته على استكمال دراسته ، كما اصطفى كثيرين من الشباب غيره أولفدهم الى أوروبا في مهمات سياسية يؤيد بها سلطته ومركزه كحاكم مصر الشرعى (١٨) .

ويذكر محمد رشيد رضا أن « الخديو عباس هو الذى أوجد مصطفى كامل واستعمله في الحركة الوطنية وهو تلجذ لمغير .. وقد

(١٦) على نهى كامل : مصطفى كامل في ٣٤ ربيعا ج ١ ، ص ١١١

(١٧) أحمد شفيق : مذكراتى في نصف قرن ج ٢ ، ص ١٩٠ .

(١٨) محمد حسين هيكل : شخصيات مصرية وغربية ص ٤٨

جعل سموه لمصطفى أفندي كامل راتباً شهرياً قدره خمسة وعشرون جنياً ثم ما زال يزيده حتى بلغ مائة جنياً في الشهر عدا ما كان يأمر به القربى من مساعدته وفي مقدمتهم الأمير محمد إبراهيم والأميرة شويكار هانم (١٩) .

مما سبق يتضح أن الخديو أُلحق على مصطفى كامل أثناء تواجده بفرنسا في عام ١٨٩٥ (٢٠) ولكن يبدو أنه حرصاً منه على السرية فقد تم الاتفاق على أن يتظاهر مصطفى كامل بأنه مرسل من قبل جمعية وطنية مصرية (٢١) .

وهنا يطرح سؤال نفسه وهو لماذا قدم الخديو يد المساعدة لمصطفى كامل ؟

الواضح أن الخديو اصطدم في بداية عهده بالقنصل البريطاني في سلسلة من الأحداث أهمها الأزمة الوزارية وحادث الحدود كما كان الخديو يرى أن الاحتلال لا يستند إلى الشرعية وأن وضع مصر السياسي لا يزال من الناحية القانونية يستند إلى معاهدة لندن ١٨٤٠ لذلك رأى الاستعانة بكل القوى الداخلية التي تمكنه من مقاومة الاحتلال ولكن تطور الأحداث ، وضغط اللورد كرومر على الخديو وتهديداته المستمرة له جعلت الخديو يتردد في مساعدة مصطفى كامل بالمال مما دفع مصطفى كامل إلى طلب المساعدة المالية من آخرين فقد أرسل مصطفى كامل من باريس خطاباً إلى صديقه محمد فؤاد سليم بتاريخ ١٦ أكتوبر ١٨٩٥ قال فيه « اني في ضيق نظراً لأن الخديو لم يرسل لي

(١٩) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ص ٥٩٣

(٢٠) عند مقارنة خطاب مصطفى كامل التي نشرها أخوه في كتبه مصطفى كامل في ٣٤ ربيعاً ونفس الخطاب التي نشرها الرافعي في كتبه مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية يتضح أن الرافعي قد حذف من خطاب مصطفى كامل كل ما يشير إلى مساعدة الخديو المالية له .

(٢١) د. محمد أنيس : صفحات معلومة ، ص ٩

من المال ما يكفيني للسفر الى مصر اذ أن مقدار ما بعته لى يكفى فقط
لأسدد به نفقات الفندق وانى صفت على عدم رجوعى الى مصر لأن
وجودى فى فرنسا مهم جدا للقضية التى كرسى لها نفسى جسدا وروحا ،
ولقد قررت ألا أعود الى مصر الا اذا يئست من معاونة الوطنيين ،
وانى حاليا يائس من واحد وهو الخديو (٢٢) » .

ان هذه الوثيقة توضح أن الخديو قد كف يده عن مساعدة مصطفى
كامل بالمسال لدرجة أن مصطفى يئس من معاونته له .

كما يتضح من الرسائل التى نشرها الدكتور محمد أنيس (٢٣) أن
مصطفى كامل واطب ابتداء من الرسالة الرابعة المؤرخة فى ٣٠ يوليو
١٨٩٥ (٢٤) على طلب المال من الخديو لشدة حاجته اليه ، مما يؤكد
أن المبلغ الذى كان يدفعه الخديو لمصطفى كامل لم يكن يصله
بسهولة .

وهنا يطرأ سؤال آخر وهو هل كانت هناك بالفعل جمعية وطنية
ساعدت مصطفى كامل بالمسال أثناء دعايته للقضية المصرية عندما توقف
الخديو عن مساعدته ؟

الواقع أن مصطفى كامل أوحى بأنه موفد من قبل جمعية وطنية

(٢٢) عبد العزيز حافظ دنيا : رسائل تاريخية من مصطفى كامل الى
مؤاد سليم الحجازى . خطاب رقم ١١ ، ص ٥٨
(٢٣) هذه الرسائل موجودة بدار الوثائق القومية تحت عنوان
مذكرات المرحوم مصطفى كامل .

(٢٤) الرسالة الرابعة من رسائل مصطفى كامل الى عبد الرحيم
احمد هى بترتيب الرسائل فى كتاب صفحات مطوية الخامسة حيث أن
الرسالة الثانية برسلة من عبد الرحيم احمد الى مصطفى كامل بينهما الأولى
والثالثة والرابعة والخامسة من مصطفى كامل الى عبد الرحيم احمد
كما يتضح من الخطاب الأول فى مجموعة هذه الرسائل أن مصطفى كامل
قد أرسل الى عبد الرحيم احمد خطاب قبل ذلك ، ولكن لم يتم العثور
عليها حتى الآن .

سرية حتى يبعد أنظار الانجليز عن الخديو ، وربما يكون ايحاؤه صحيحا لأن الجمعية الوطنية السرية التي تكونت من أوروبيين ومصريين وسبق الإشارة إليها كان الخديو رئيسها أما عن وجود جمعية وطنية سرية كانت ترسل له الأموال للدعاية للقضية الوطنية فنحن نستبعد ذلك ورغم أن بعض خطابات مصطفى كامل إلى أصدقائه تشير إلى رغبة بعض الأغنياء في مساعدته ويبدو ذلك واضحا من خطاب أرسله مصطفى كامل إلى عبد الرحيم أحمد في ٩ أغسطس ١٨٩٥ إذ يقول فيه وقد سرني كثيرا ما قلته لي من أن بعض الناس مستعد للمساعدة المادية فيا حبذا لو قام أفراد الأغنياء بالمساعدة وخففوا عن مولانا .. ما يصرفه من المصاريف الطائلة (٢٥) » ، ورغم ذلك فإن هذا لا يعنى وجود جمعية وطنية ساعدت مصطفى كامل ، وعلى كل حال فقد ابتعد الأغنياء عن مساعدة مصطفى كامل عندما رأوا أن الخديو كف يده عن مساعدته ، ويبدو ذلك واضحا من خطاب مصطفى كامل إلى محمد فؤاد سليم ، إذ يقول فيه « اننى حاليا يائس من واحد وهو الخديو ، ولكن أليس في استطاعة والدك والهللأوى ومحمود سالم أن يرسلوا لى سنويا ٤٠٠ جنيه ما داموا يعتبرون أنفسهم وطنيين ويقدررون جهودى الوطنية وإذا كانوا غير قادرين على مساندتى فانى سأعود إلى مصر يائسا فاقد الأمل ليس في الجلاء فحسب بل من مستقبل الأمة المصرية (٢٦) » .

ولنا أن نتساءل عن المساعدات المالية التي قدمها الخديو إلى مصطفى كامل ودورها في مساعدته على اتمام دراسته في أوروبا ؟

الواضح أنه لم يكن في وسع أسرة مصطفى كامل الانفاق على تعليمه في الخارج خصوصا وأن والده توفي في عام ١٨٨٦ أى قبل

(٢٥) د. محمد انيس : صفحات مطوية ، ص ٥٣ .
 (٢٦) عبد العزيز حافظ دنيا : رسائل تاريخية من مصطفى كامل إلى فؤاد سليم . خطاب رقم ١١ ، ص ٥٨ .

حصول مصطفى على الشهادة الابتدائية التي حصل عليها في عام ١٨٨٧ .

ولكن البعض يذكر أن سناء أحد أقارب مصطفى كامل هو الذي مكّنه إلى استكمال دراسته الجامعية في فرنسا فقد ذكر لاندau أن الدكتور عبد الفتاح فتحي الأخ غير الشقيق لمصطفى كامل هو الذي ساعده على استكمال دراسته الجامعية في فرنسا (٢٧) .

وقد اتفق أحمد رشاد مع لاندau في ذلك إذ يقول أنه « في ٨ سبتمبر ١٨٩٤ توفي الدكتور عبد الفتاح فتحي أخو مصطفى كامل من أبيه من زوجته الثانية ، وعلى الرغم من مرض الطالب المصري فقد عاد إلى وطنه فوراً عندما وافته الأخبار بهذا النبأ المفجع حيث صمم أن يترحم على قبر أخيه الأكبر الذي كان بمثابة والداه وأهتم بتربيته والانفاق عليه ، وكان مصطفى قد وعد الراحل بأن يتم علومه في مدرسة الحقوق في هذه السنة حتى يكرس حياته لوطنه العزيز (٢٨) » .

ومع أننا لا نستبعد فكرة مساعدة الدكتور عبد الفتاح فتحي أو غيره لمصطفى كامل أثناء دراسته في الخارج فإننا نرى أن مصطفى قد سافر إلى فرنسا بتشجيع من الخديو ، وأن الخديو هو الذي مد مصطفى كامل بالمال لاتعام دراسته ، وأنه إذا كان البعض قد ساعد مصطفى كامل فإن ذلك لا يعني أنه تولى كل الانفاق عليه لأنه من الثابت أن معظم مصاريف السفر والاقامة كانت تقدم له عن طريق الخديو .

وبخلاصة القول أنه إذا كان مصطفى كامل لم يتلق العون المادي

(27) Landon op. cit., p. 197.

(28) أحمد رشاد : مصطفى كامل حياته وكفاحه ، ص ٤٩

من جهة واحدة أثناء تواجده بفرنسا (٢٩) فإن الخديو كان قد تحمل القسط الأكبر من هذه النفقات .

وعلى كل حال فقد استطاع مصطفى كامل بعد عودته الى مصر وائتمام دراسته في فرنسا أن يوقظ الأمة المصرية من ثباتها فقد وهب مصطفى كامل حياته لبلاده وقرر أن يفيدها بكل لحظة من عمره فكانت كلماته جديدة على الناس فقد خاطبهم بالأسلوب الوجداني الذي امتاز به خطباء الثورة الفرنسية واستطاع أن ينهض بأعباء دعوته مؤيدا من الخديو عباس الثاني في بادئ الأمر ، شاعرا بقوته بعد ذلك مطاعا من أنصاره متقدما الى الأمام رافعا علم النهضة مرددا نشيد المجد والعظمة بصوت تهتر له الأئمدة وتخفق له الجوانح فلا يعرف الخطر (٣٠) .

٣ — الخطوط الرئيسية لسياسة مصطفى كامل تجاه الاحتلال :

استطاع مصطفى كامل أن يجمع بين القدرة على قيادة الجماهير وامكانية طرح أيديولوجية تحدد مسار القضية المصرية وهي أن لمصر عدوا واحدا هو الاحتلال ، ولمصر مطلبا واحدا هو الجلاء .

ومصطفى كامل بحكم تكوينه الفكري والثقافي ينتمي الى الصفوة السياسية المثقفة Intellectual Political Elite وهو ما يميز زعامته للحركة الوطنية عن الزعامات المصرية السابقة كمصر حكرم

(٢٩) يتضح من مذكرات محمد فريد أن فريد قد ابد مصطفى كامل بالمسال لمساعدته على اداء مهامه الوطنية .

انظر : مذكرات محمد فريد . مطروف رقم (١) خطاب من مصطفى كامل الى محمد فريد .

(٣٠) محمد حسين هيك : شخصيات مصرية وغربية ، ص ٥٧

باعتباره صفوة دينية مستتيرة أو أحمد عرابي باعتباره أحد الصفوات العسكرية الوطنية (٢١) .

وقد استلهم مصطفى كامل خطوط كفاحه من دراسة واقع مصر السياسي ونتيجة لذلك رأى أن تواجد قوات الاحتلال في مصر ليس لها سند شرعي ، ولما كانت أحوال الحركة الوطنية لا تمكنه من تغيير الأمر الواقع الذي فرضه الانجليز على بلاده فقد طرق مصطفى كل باب يوصله الى المطالبة باستقلال بلاده فاعتمد على الخديو ممثل السلطة الشرعية في البلاد كما اعتمد على الدولة العثمانية باعتبارها دولة الخلافة التي تهفو اليها قلوب المسلمين ، ثم اعتمد على تناقض مصالح الدول الأوروبية وخصوصا فرنسا وبريطانيا ، وأخيرا اتجه الى الشعب وخصوصا المثقفين منهم . وفيما يلى نعرض لذلك :

١ — مصطفى كامل والخديو :

كان تعاون مصطفى كامل مع الخديو أمرا تقتضيه الضرورة خصوصا بعد الدرس الذي تعلمه مصطفى كامل من النديم بضرورة تجنب الخلاف مع الخديو يضاف الى ذلك أن الحركة الوطنية لم تكن تستطيع أن تقف بمفردها أمام الانجليز وأنه كان على مصطفى كامل أن يتعاون مع كل القوى الداخلية والخارجية المعارضة للاحتلال ، ومن هنا التقى بالخديو عباس الثاني حيث اتخذته وسيلة لتوحيد سياسة الأمة المصرية على مقاومة الاحتلال (٢٢) واعتبر توليته أريكة الخديوية عنوانا لحياة جديدة ومبدأ لنهضة وطنية صادقة تزداد كل يوم قوة

(٢١) د . عاطف مؤاد : الزعامة السياسية في مصر ، عرض تاريخي وتحليل سيولوجي . القاهرة — دار المعارف . الطبعة الاولى ١٩٨٠ ، ص ١٠٥ — ١٠٦

(٢٢) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ج ١ ، ص ٥٩٣

ونموا^(٣٣) وقد وجد الخديو عباس الثانى فى مصطفى كامل الشاب الوطنى الذى استطاع رغم حداثة سنه أن يحمل راية الجهاد فأعجب بموقفه وقال عنه فى مذكراته أنه كان أعظم وطنى فى عصره ، كما قال عنه أنه كان يفتش عن الرجال فى عهده بمصباح فلم يجد كثيرا من أمثال مصطفى كامل^(٣٤) .

وقد أخذ مصطفى كامل يستنهض همم المصريين ويدعوهم الى « الاتحاد حول الأريكة الخديوية »^(٣٥) كما أوضح لهم أن الخديو له السلطة الشرعية فى مصر وأنه النائب الشرعى عن السلطان وما على الأمة الا رفع شكواها اليه وعرض آرائها عليه^(٣٦) وان لتعلق المصريين بالخديو معنى ساميا من الوجهة الدينية والوطنية والسياسية^(٣٧) ، كما ذكرهم بأن « عرش الخديوية هو القوة الباقية من قوى الاستقلال ومحط الرجال ومصدر الحياة والآمال لهذه البلاد فى الحال والاستقبال »^(٣٨) .

والجدير بالذكر أن دعوة مصطفى كامل كانت تقتصر على جلاء المحتلين ، ولم تتعرض للعلاقة بين الحاكم والمحكوم ، وفل الأمر كذلك حتى اعترت علاقته مع الخديو الفتور ثم المقاطعة بسبب عدم ثبات الخديو على خطة واحدة فاحتفظ مصطفى كامل باستقلاله عن الخديو

- (٣٣) اللواء : العدد السادس من السنة الأولى فى ٨ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « الأمة والامير » .
 (٣٤) المصري : مذكرات الخديو عباس الثانى .
 (٣٥) اللواء : العدد الحادى عشر من السنة الأولى فى ١٤ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « سياسة الشرف والاباء » .
 (٣٦) اللواء : العدد ٢٣ من السنة الأولى فى ٢٨ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « واجبات الوزراء امام الأمة والامير » .
 (٣٧) اللواء : العدد ٣١ من السنة الأولى فى ٦ فبراير ١٩٠٠ تحت عنوان « السلطة الشرعية فى مصر » .
 (٣٨) اللواء : العدد ٧٩٦ من السنة الرابعة فى ١٦ ديسمبر ١٩٠٢ تحت عنوان « الجناب العالى والمحظون » .

خصوصا بعد أن هجر الخديو صفوف الوطنيين ولجأ الى الملاينة مع سلطات الاحتلال .

٢ - مصطفى كمال والدولة العثمانية :

كان مصطفى كمال يقدر وضع مصر الدولي الذي تحدده معاهدة لندن ١٨٤٠ ، وهي المعاهدة التي تعترف باستقلال مصر في تلك سيادة الدولة العثمانية كما كان يقدر حرج مركز انجلترا السياسي من الناحية القانونية لذلك رأى ضرورة توثيق الروابط الودية مع تركيا لكي يتخذ من موقفها وسيلة لمقاومة الاحتلال وحتى لا تنضم الى انجلترا في سياستها الاستعمارية ضد مطالب المصريين يضاف الى ذلك أن مصطفى كمال كان لديه الحماس الديني كما كانت وطنيته تمتزج بالدين ، وانه كان يعتقد أن الخلافة العثمانية من مظاهر الوحدة الاسلامية ، وأن مصر تعتبر أهم أجزاء هذه الوحدة خطرا كما أنها جزء من الدولة العثمانية من الناحية الدولية ومع ذلك فان كفة الوعي القومي رجحت عنده على كفة الوعي الاسلامي (٣٩) .

حقيقة أن مصطفى كمال كان يود أن تعود للإسلام قوته وعزته وأن ينشوى الشرق تحت لواء الدولة العثمانية باعتبارها أقوى الدول الاسلامية في ذلك الوقت ، وأنه طلب من السلطان ارسال جيوشه الى مصر لاجراء الانجليز منها واحتلالها باعتبارها دولة عثمانية (٤٠) ، كما أنه نادى بضرورة توثيق روابط الاتحاد بين مصر وتركيا لأن « أسباب مصائب مصر والاسلام هي الشقاق بين المسلمين (٤١) » ، ولكن هل يعني ذلك أن مصطفى كمال كان يريد أن يحل احتلال عثماني لمصر محل الاحتلال الانجليزي ؟

(٣٩) الرانمي : مصطفى كمال ، ص ١٥٥

(40) Bosphore Egyptien 28 August 1906.

(٤١) اللواء : العدد السادس من السنة الاولى في ٨ يناير ١٩٠٠ .
مقال لمصطفى كمال تحت عنوان « الأمة والامير » .

الواقع أن مصطفى كامل كان يرى أنه متى تخلصت مصر من الاحتلال البريطاني فإنها ستظل خاضعة من الناحية الاسمية للدولة العثمانية ، وبما أن سيادة الباب العالي قد دب فيها الضعف فإن مصر تستطيع أن تتخلص بسهولة من هذه السيادة .

وتتضح حقيقة علاقة مصطفى كامل بالدولة العثمانية من خطاب أرسله الى جوليت آدم اذ يقول فيه « ان من السياسة الاهلية لمصر أن تكون مع تركيا طالما ظل الانجليز محتلين وطننا العزيز (١٢) » .

لقد أساء البعض تصوير خطة مصطفى كامل نحو الدولة العثمانية على أنه من أنصار السيادة العثمانية وأنه كان بوقاً يعمل على توطيد حركة الجامعة الاسلامية في ظل الخلافة ، ولكننا نتفق مع الرأي الذي يقول أن الذي حال بين انجلترا وعلان حمايتها على مصر في الفترة من ١٨٨٢ الى ١٩١٤ هو سيادة تركيا الاسمية التي تمسك بها مصطفى كامل (١٣) وأنه لو كان مصطفى كامل قد ناهض الباب العالي لكان قد هيا لبريطانيا الفرصة لتوطيد مركزها في مصر وعلان حمايتها أو ضمها اليها .

حقيقة أن مصطفى كامل دافع عن فكرة الجامعة الاسلامية وصفحات اللواء تشهد على ذلك (١٤) كما أنه حظي بتقدير السلطان له حيث منحه رتبة المتمايز (البكوية) والنيشان المجيدى عام ١٨٩٩ ثم أنعم عليه برتبة الباشوية في مارس ١٩٠٤ فصار يعرف بمصطفى

(١٢) على غمهي كامل : رسائل مصرية فرنسية . خطاب من مصطفى كامل الى جوليت آدم بتاريخ ١٢ يونيه ١٨٩٧ ، ص ٤٧

(١٣) الرافعي : مصطفى كامل ، ص ٣٣٨

(١٤) نشرت اللواء منذ صدورها مقالات كثيرة للدفاع عن الدولة العثمانية تحت عناوين متعددة منها « سلامة الدولة العثمانية » « قوة الخلافة الاسلامية » « عيد الخلافة والاسلام » « مصر والدولة العلية » « الخلافة والاسلام » « بقاء الدنيا موتوف على بقاء الدولة العلية » « تكبير الخلافة على المسلمين » .

كامل باشا^(٤٥) ، ولكن هل ينكر أحد أن طابع العصر كان يحتم الولاء للسلطان وطاعته ، وهل ينكر أحد أن التفرغ لخصم واحد خير من مواجهة خصمين مجتمعين . لقد عمل مصطفى كامل على تجنب الخلاف مع السلطان ، واعتبر أن ارتباط مصر مع تركيا أحسن احتجاج على استمرار الاحتلال^(٤٦) وقد عبر عن سياسته تجاه تركيا بقوله « لقد صرحنا بأننا نريد مصر للمصريين ، وبأن انعطافنا أو نفورنا من دولة لا يؤثر شيئا على هذا المبدأ الرئيسى لحياتنا وأفعالنا ولكنى أسأل ماذا يكون مصير البلاد المصرية لو تنازلت تركيا عن حقوقها لانجلترا أو تعاهدت معها على ذلك بمعاهدة شبيهة بالمعاهدة الفرنسية الانجليزية ؟ ألا تصير مصر ولاية انجليزية^(٤٧) » .

وعلى كل حال فالواضح أن حياة مصطفى كامل رغم قصرها كانت مليئة بالتجارب السياسية ، وقد تعرض فيها للخطأ والصواب ومع ذلك فلا ينكر أحد أنه لم يتوخ غير مصلحة مصر ولا يتقد غير حماسية الا عليها وحدها^(٤٨) .

لقد آمن مصطفى كامل في أولى سنوات جهاده بالسيادة العثمانية على مصر ثم عدل عنها بعد أن أحس بخطئها وقد أوضح الخديو عباس الثانى ذلك بقوله « انزلق مصطفى كامل في أثناء قيامه بدعايته الى ادراك خاطئ . للوطنية المصرية ، وكان التقرب الذى ينشده مع تركيا يتخذ صورة أقرب الى التنازل منها الى الأمل ، ولكنه عندما وجد من يفهمه ذلك استبدل بسياسته التى كانت تركية الطابع الى حد كبير ادراكا وطنيا سليما ، وقد تطور ببراعة فائقة جعلت تلاميذه يتبعونه دون أن يفتنوا الى الخطأ الأول^(٤٩) » .

(٤٥) الراقصين : المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

(٤٦) نفسه : ص ٣٤٤ .

(٤٧) اللواء : فى ٦ اكتوبر ١٩٠٧ .

(٤٨) عبد اللطيف حمزة : المرجع السابق ج ٦ ، ص ١٣ .

(٤٩) المصرى : مذكرات الخديو عباس الثانى فى ١٤ مايو ١٩٥١ .

وهكذا حاول مصطفى كامل استخدام الدعوة الى الخلافة العثمانية كسلاح لمناوأة الاحتلال البريطاني خصوصا وان احراج مركز انجلترا في مصر من الناحية القانونية كان ورقة رابحة استغلها مصطفى كامل لاثارة الدول الاوربية على انجلترا .

٣ - مصطفى كامل والدولة الاوربية :

رأى مصطفى كامل أن الدعاية للقضية المصرية في الخارج تعتبر أقوى سلاح يشهره في وجه الاحتلال خصوصا وان المسألة المصرية كانت مجهولة لدى الرأي العام الأوربي ، بل كانت الفكرة الذائعة عن المصريين أنهم راضون عن الاحتلال (٥٠) ، وأنه « من غير اللائق بأوروبا أن تجبر انجلترا على الجلاء وتحرم الأمة المصرية من فوائد الاحتلال ، ويستدلون على رضا المصريين بسكوتهم وعدم قيامهم ضد الاحتلال لا بالسيف ولا بالبنيران (٥١) » .

وقد بدأ مصطفى كامل دعايته للقضية المصرية في أوروبا برحلة الى فرنسا في مايو ١٨٩٥ وكان وقتذاك في الحادية والعشرين من عمره فلفت الأنظار اليه ، وقد استفاد مصطفى كامل من التنافس بين انجلترا وفرنسا في احراج مركز الاحتلال .

وقد أوضح مصطفى كامل خطوط سياسته للدعاية للقضية المصرية في أوروبا في رسالة الى جوليت آدم بقوله « لعلك ترين أنني أجمع حول مسألتنا من المواطنين ما يصل اليه جهدي فاني أنشر الحقيقة في كل مكان وفي جميع البلاد أجعل أعداء المحتلين أكثر مما كانوا ، ان مركزنا يشبه من جميع الوجوه مركز رجل في داره لص يسرق ويحرق ما يجده في طريقه ويذبح كل شيء ، فواجب صاحب الدار التعس أن يصيح

(٥٠) الرافعي : المرجع السابق ، ص ٤٩

(٥١) مذكرات محمد فريد : مطروف رقم ١ ، ص ٢ ، رسالة من مصطفى كامل الى محمد فريد .

برجال الشرطة ويستغيث بكل انسان ، فنحن كذلك نستغيث بالجميع ، ولا نود أبدا أن نشترك أمة حرة من أمم أوروبا أو غيرها مع انجلترا ضدنا وتعمل على خسارتنا (٥٢) » .

والجدير بالذكر أن مصطفى كامل لم يقصر نشاطه السياسى والصحفى على فرنسا وحدها بل تردد على كثير من دول أوروبا ولا سيما ألمانيا والنمسا والمجر .

وظل مصطفى كامل على ولائه لفرنسا يأمل منها العون حتى جاء حادث فاشوده عام ١٨٩٨ ثم الاتفاق الودى عام ١٩٠٤ فأتضح له أن فرنسا لا تعمل الا ما فيه مصلحتها فقط ومنذ ذلك الحين أخذ مصطفى كامل ينتقد سياسة فرنسا ويبدو ذلك واضحا في قوله « اننا انتقدنا السياسة الفرنسية ، ولنا غير مرة انها لا تليق بحكومة الجمهورية ولولا هذه السياسة العرجاء لما كانت انجلترا في مصر ولما كنا فيما نحن فيه (٥٣) » .

واذا كان البعض قد أخذ على مصطفى كامل عدم فهمه للاعب السياسة الأوروبية فاننا نرى أنه كان لمصطفى كامل وللخديو عباس الثانى أيضا العذر في اعتمادهما على أوروبا حيث ان سياسة دولها الاستعمارية لم تكن قد استقرت بعد بل كانت المناهضات على أشدها بين هذه الدول . ولما أحس مصطفى كامل أن هدفه في اجلاء الانجليز عن مصر لا يتحقق عن طريق أوروبا أخذ في الاعتماد على الجماهير المصرية وخصوصا الطبقة المثقفة منها .

(٥٢) على نفوس كابل : رسائل مصرية فرنسية رسالة من بودابست ارسلها مصطفى كامل الى جوليت آدم في ٢٨ مارس ١٨٩٧ ، ص ١

(٥٣) اللواء : في ١٥ مايو ١٩٠٠

٤ — اتجاه مصطفى كامل الى الجماهير (الطبقة المثقفة) :

بعد فشل تجربة مصطفى كامل في الاعتماد على الخديو وفرنسا لم يجد أمامه غير الشعب المصري ، فرأى ضرورة الاعتماد عليه لأنه صاحب الشأن الأول وينبغي أن يكون المحرك الأول للمسألة المصرية ، ولما كان تكوين الرأي العام المستدير لا يتأتى الا بتثقيف وتعليم الشعب حتى يعلو شأن المصري ويكون كفؤا لوسائل الحياة التي هي العلم والعمل ^(٥٤) ، فقد تبنى مصطفى كامل انشاء المدارس وتأسست مدرسة باسمه لهذا الغرض في عام ١٨٩٩ ، كما تأسست اللواء في ٣ يناير ١٩٠٠ لتكون مدرسة لتعليم الشعب دروس الوطنية ^(٥٥) .

ولكى ينزع مصطفى كامل الخوف من قلوب مواطنيه أوضح لهم على صفحات اللواء « أن الشعب هو القوة الوحيدة الحقيقية وهو السلطان الذي يخضع لارادته أكبر العظماء وأعظم الأقوياء وأن رجال الحكومة ليسوا الا وكلاء عنه ^(٥٦) » .

وقد وصل مصطفى كامل الى أفئدة الشعب المصري عن طريق الحديث عن الماضي فتغننى بمصر وأهلها في شاعرية دافقة مثال ذلك « اسألوا العالم يجبكم أن مصر جنّة الدنيا ، وأن شعبا يسكنها ويتوارثها لأكرم الشعوب اذا أعزها ، وأكبر جناية عليها وعلى نفسه اذا تسامح في حقها وسلم أزمتها للأجنبي » وقوله « انى لو لم أولاد مصريا لوددت أن أكون مصريا » وهكذا نجح مصطفى كامل في استمالة العواطف الكامنة في نفوس الوطنيين من أجل خدمة قضيتهم ^(٥٧) .

(٥٤) اللواء : العدد ١٠٢٢ من ١٠ فبراير ١٩٠٣ تحت عنوان « شوارد عن الشرق » .

(٥٥) محمد حسين هيكل : شخصيات مصرية وغربية ، ص ٥٥

(٥٦) اللواء : العدد ٣٥ من ١٠ فبراير ١٩٠٠ مقال لمصطفى كامل تحت عنوان « حقوق الشعب وواجباته » .

(٥٧) د. لويس مليك : سيكلوجية الجماعات والقيادة — ديناميات الجماعة ج ١ ، القاهرة — النهضة المصرية ١٩٦٣ ، ص ٤٤ ، ١١٤

وهكذا قام مصطفى كامل بدور الزعيم الذى يقود أمته وفقاً لأفضل المصالح فما لبث الشعب أن آمن بأفكاره واعتنق مبادئه .

وقد نجح مصطفى كامل فى جذب الشباب المثقف الى حركته وساعده على ذلك قدرته على مواكبة الأحداث فكان سياسياً ثورياً ودبلوماسياً موهوباً وخطيباً مفوهاً وصحفيًا مشهوراً (٥٨) لدرجة أنه نجح فى السيطرة على طلاب المدارس العالية وغيرها فأحبوه وأطاعوا جميع أوامره وساروا على هدى توجيهاته (٥٩) .

ويرجع اهتمام مصطفى كامل بالطلبة الى أن باقى طبقات المجتمع لم تكن مؤهلة للتصدى للاحتلال فى ذلك الوقت .

وتحليلاً لما سبق يتضح أن سياسة مصطفى كامل كانت تتركز على الآتى :

- ١ — محاربة الاحتلال والعمل على أجله والتنديد بسياسته .
- ٢ — الاستعانة بالخديو فى مقاومة الاحتلال لعدم قدرة الحركة الوطنية على الصمود أمامه وحدها فى أول الأمر .
- ٣ — الاستئجاد بدول أوروبا وخصوصاً فرنسا (ولكن حادث فاشودة جعل مصطفى كامل يعيد حساباته) .
- ٤ — التمسك بالتبعية الاسمية لتركيا حتى لا تنقلب بجانب إنجلترا ضد مصر .
- ٥ — الاستفادة من كل خطأ يقع فيه المحتلون والتشهير به .
- ٦ — الاعتماد على الجماهير المصرية وبث روح الثقة فيهم .

(58) Safran, Nadav. Egypt in Search of Political Community. 1961. p. 85.

(59) Landau : op: cit., p. 123.

وهكذا نجح مصطفى كامل الذي لم تكن لديه وزارة أو مصلحة استعلامات ، ولم يمتلك مالا ، في أن يقوم بحركة دعائية واسعة النطاق للقضية المصرية تعجز عن القيام بها مجموعة ضخمة من الأفراد (٦٠) ، وأن يوضح للرأى العام العالمى عدالة القضية المصرية وكراهية الشعب المصرى للاحتلال .

٥ — أهداف مصطفى كامل والخديو من مقاومة الاحتلال :

وضع مصطفى كامل أمامه هدفا واضحا وهو الجلاء وعدوا واحدا وهو الاحتلال أما عن المسائل الأخرى مثل الحياة النيابية وعلاقة مصر بالدولة العثمانية وغيرها فقد رأى تركها حتى يتخلص المصريون من الاحتلال أولا ، وقد أوضح الأستاذ شفيق غريال هذه الفكرة بقوله : « ان أبسط استجابة كانت استجابة مصطفى كامل نحو سياسة الاحتلال اذ تقوم على قاعدة خالية من كل تعقيد أو من كل شطارة لمصر عدو واحد هو الاحتلال ولمصر مقصد واحد هو الجلاء وما عدا ذلك فمتغصبل له وقته الإصلاح الحكومى وغير الحكومى ، الحكومة النيابية ، تسوية أمر الامتيازات السيادة العثمانية كلها أشياء حقا مهمة ، وأشياء ينبغي ألا تهمل ولكنها لا ينبغي مطلقا أن تطفئ على المقصد الأساسى الجلاء أو تضعف من مقاومة العدو الأصيل وهو الانجليز (٦١) » .

أما عن مصدر التعقيد عند مصطفى كامل فهو حب الوطن حبا خالصا لا يشوبه التفكير في انتفاع أو في مصلحة فكانت حملته تستخدم ثلاث وسائل هي :

(١) ألا يأس مطلقا ، ألا تصدقوا أيها المصريون كلام الانجليز وكلام ماجوريهم بأن مركزهم في مصر لا يتزعزع ولن يتزعزع .

(٦٠) الصور : تم ٢٩ نوفمبر ١٩٧٤

(٦١) محمد شفيق غريال : المرجع السابق ج ١ ، ص ٢٧

(م ١٠) — الخديو عباس الثانى :

(٢) لا نتقوا مطلقاً بوعودهم ولا تركتوا الى محاولتهم تبسيط مركز البلاد الدولى ، بل تذرّعوا بذلك العناصر الدولية والعثمانية التى يكرهها الانجليز ، ويكفى كرههم لها لتضيقكم بها .

(٣) لا تصدقوا أن الاحتلال يمكن أن يبطن خيراً لكم أو لبعضكم فهو يفعل ذلك ليفرق كلمتكم ويجعل من بعضكم أعداء البعض الآخر (٦٢) .

وقد سلك مصطفى كامل أسلوب التفاهم مع الخديو فى كفاحه ضد الانجليز ، وكان من مظاهر ذلك الاحتفال بعيد الجلوس الخديوى فى ٨ يناير ١٨٩٣ ، ومع ذلك فقد كانت الخديوية فى نظر مصطفى كامل أداة من أدوات الكفاح لا غاية ، وقد أشار الى ذلك رشيد رضا بقوله : « أخبرنى رفيق بك العظم ، وكان من أصدقاء مصطفى كامل ومحمد بك فريد الركن الأعظم له وللحزب الوطنى بعد تأسيسه أنهما يتفحذان الخديو وسيلة لتوحيد سياسة الأمة المصرية على مقاومة الاحتلال فإن ظفرت البلاد بجلاء الجيش الانجليزى عنها فإن الحزب الوطنى يؤسس لها حكومة لا يكون للخديو ولا لأمثاله أدنى حظ منها (٦٣) » .

ومما لا شك فيه أن مصطفى كامل وجد فى تحالفه مع الخديبر سنداً قوياً له وخصوصاً وأن الحركة الوطنية كانت أضعف من أن تقف بمفردها ومع ذلك فإن مصطفى كامل لم يكن راضياً عن بعض مواقف الخديو أو الحكومة ويوضح ذلك مذكرات محمد فريد إذ تؤكد أن مصطفى كامل كان يعتبر الحكومة خائنة للشعب وأسيرة للانجليز ، ولكنه لم يستطع الانصاح عن ذلك فى بداية كفاحه (٦٤) .

(٦٢) نفسه .

(٦٣) تاريخ الأستاذ الامام ج ١ ، ص ٥٩٣ — ٥٩٤

(٦٤) خطابات محمد فريد : مطروف ١ ، خطاب رقم ١ من مصطفى كامل الى محمد فريد ، قينا فى ٢١ أكتوبر ١٨٩٧

وعلى كل حال فإن دعوة الجلاء التي نادى بها مصطفى كامل لم تكن أمرا ميسورا في الوقت الذي ظهر فيه ، ولكن الزعيم المؤمن برسائله استطاع اقناع الرأي العام الأوربي بمعدالة قضية بلاده .

اهداف الخديو عباس الثاني من مقاومة الاحتلال :

لقد سابر الخديو عباس الثاني الحركة الوطنية حينما وتراجع عنها أحيانا حين تعارضت مصالحه معها ، وبتحليل موقف الخديو يتضح أنه لم يكن راغبا في مقاومة المعتمد البريطاني الى درجة التفكير في تصفية الوجود الانجليزي من مصر نهائيا بل كانت معارضته المترددة تستهدف المشاركة في السلطة في ظل الاحتلال ومما يوضح ذلك تعديل سياسته تجاه الاحتلال وتخليه عن الحركة الوطنية عندما لمح له الانجليز بارجاع سلطاته في ظل سياسة الوفاق لذلك فإنه يمكن القول بأن موقف الخديو من الاحتلال كان ينصب على الهجوم على سياسة كرومر وليس على الاحتلال من أساسه ، كما كان تمايلف الخديو نحو الحركة الوطنية أسلوبا من أساليب الضغط على سياسة كرومر (٦٥) .

لقد اتخذ الخديو من الحركة الوطنية ورقة يستلجع أن يساوم بها الانجليز حتى يسترد ما فقدده من سلطة لدرجة أنه نفى عن نفسه تهمة العمل ضد الاحتلال في حديث له مع المستر دايسى Dacey والذي صرح فيه بأن المعتمد البريطاني لا يستطيع وحده أن يحكم مصر ، وأنه مستعد للتعاون معه ، وأن الاحتلال البريطاني أفضل من أي احتلال آخر .

هذا هو ما يفرق بين مصطفى كامل والخديو ، فبينما كان مصطفى كامل يتحالف مع كل القوى المعادية للاحتلال بهدف اجلاء الانجليز عن مصر ، كان الخديو يهدف الى الضغط على الحكومة البريطانية حتى تمكنه من استرداد سلطاته التي سلبها منه المعتمد البريطاني كرومر .

(٦٥) د. محمد انيس : صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل ، ص ١٢

٥ — نشاط مصطفى كامل في أوروبا وعلاقته بجوليت آدم :

استغل مصطفى كامل الصفة الدولية للصبالة المصرية ورأى ضرورة استغلال العناصر الدولية الكارهة للاحتلال وفي مقدمتها فرنسا لصالح قضية بلاده فزاد نشاطه في أوروبا وذكر أنه موغد من قبل الحزب الوطني المصري (٦٦) ، وأثناء عودته من فرنسا إلى مصر بعد اتعام دراسته في الحقوق تصادف أن يتقابل مع الكولونيل « بارنج » شقيق اللورد كرومر على ظهر الباخرة التي أطلته عند عودته إلى مصر في ٢٨ يناير ١٨٩٥ ، وقد انتهز مصطفى هذه المقابلة ليرفع صوته بالدفاع عن قضية استقلال مصر (٦٧) فتناقش مع بارنج في المسئلة المصرية حوضا تفكر انجلترا لو عودها بالجملاء وكان رد بارنج أنه يرى ضرورة بقاء الاحتلال ثم تطلق الموضوع عن الحديث عن جدوى مساعدة أوروبا لمصر (٦٨) وقد أثار هذا الحديث ضجة كبيرة بعد أن نشرته الأهرام تحت عنوان : « حديث له شأن » (٦٩) فهاجمته المقطم واعتبرته مجرد حديث وهمي (٧٠) فكان رد مصطفى كامل على ذلك بأن من لم يصدق الحديث عليه أن يسأل الكولونيل « بارنج » نفسه (٧١) .

وقد سار مصطفى كامل في جهاده بالدعاية للقضية المصرية في أوروبا كما حرص على دعوة كبار الساسة الأوروبيين لزيارة مصر ، وقد قبل هذه الدعوة الصحفي دلوئل عضو مجلس النواب الفرنسي وحضر إلى مصر في ٢١ مارس ١٨٩٥ (٧٢) للاطلاع على أحوالها السياسية فاستقبله

(٦٦) محمد حسين هيكل : شعاعيات مصرية وغربية ، ص ٥٢

(٦٧) الرافعي : مصطفى كامل ، ص ٤٧

(٦٨) أحمد رشاد : المرجع السابق ، ص ٥٤ — ٥٧

(٦٩) الأهرام : في ٢٨ يناير ١٨٩٥

(٧٠) المقطم : في ٢٨ يناير ١٨٩٥ تحت عنوان « حديث وهمي » .

(٧١) الأهرام : في ٤ فبراير ١٨٩٥

(٧٢) محمد حسين هيكل : المرجع السابق ، ص ٥١

عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ج ٥ ، ص ٧٦

مصطفى كامل وعديد من الوطنيين في مظاهرة وطنية كما صحبه في تنقلاته وقدمه الى اخوانه وعمازفه من الوطنيين (٧٣) .

وظل دلونكل بمصر حوالي عشرين يوما التقى خلالها بالخدوي ، وتم الاتفاق بينهما على أن يسافر مصطفى كامل الى باريس للذهاب للقضية المصرية على أن يقدم له دلونكل كل التسهيلات اللازمة (٧٤) .

ولقد كان على مصطفى كامل أن يتعاون مع دلونكل في باريس ولكن هذا التعاون لم يستمر طويلا حيث تبين أن دلونكل لا يرضى عن وجود شاب مصري يعمل من أجل قضية بلاده فيحجبه عن الموقف لذلك أخذ في مضايقة مصطفى كامل واثارة المتاعب أمامه في فرنسا وفي أوساط السراي في مصر (٧٥) .

ولما رأى مصطفى كامل أن دلونكل يتخذ من القضية المصرية سبيلا للشهرة ولاحراز مكاسب شخصية أخذ يبحث عن عند آخر يقف بجانبه في فرنسا فانفتح على المجتمعات السياسية والأدبية في فرنسا فوجد منها الكراهية الشديدة لاحتلال إنجلترا لمصر (٧٦) .

وفي ٥ يونيو ١٨٩٥ قدم مصطفى كامل الى سكرتارية مجلس النواب الفرنسي لوحة تحمل عبارة « نداء الى فرنسا محزنة الشعوب لانقاذ الشعب المصري » (٧٧) وهذه اللوحة تمثل فرنسا وهي واقفة في قوس نصر يجرى النيل من تحته وتقف بجانبها أمريكا وبلجيكا وإيطاليا

(٧٣) الرافعي : المرجع السابق ، ص ٩

(٧٤) مصام شياء الدين : الحزب الوطني والتضال السري . رسالة ماجستير غير منشورة ، ص ١٤

(٧٥) د. محمد أنيس : صفحات ملوثة ، ص ١٧

(٧٦) Landau : op. cit., p. 108.

(٧٧) قام بتصميم هذه اللوحة « ميسو غليوبينو » استاذ الرسم الفرنسي .

أحمد شفيق : أمالي بعد مذكراتي ، ص ٣٤٢

حربيا ، وفي أسفل اللوحة صورة تمثل مصر وهي مقيدة بأغلال الانجليز ، وقد تقدم جماعة من المصريين الى فرنسا يستجدونها لك قيد وطنهم (٧٨) ونقش على اللوحة بالعربية والفرنسية هذه الأبيات :

الفرنسا يا من رفعت البلايا
عن شعوب تهزها ذكراك
انصرى مصر ان مصر بسوء
واحتلني النيل من مهاوى الهلاك
وانثرى في الورى الحقائق حتى
تجتلى الخير أمة تهواك

وبعد أن قدم مصطفى كامل اللوحة الى مجلس النواب الفرنسى طبع منها ستة آلاف نسخة (٧٩) وزع بعضها على صحف وكتاب وسياسى العالم .

وترجع أهمية هذا العمل الى أنه لفت الأنظار الى المسألة المصرية (٨٠) وأحدث ضجة كبيرة في الصحف فقد نشرت شركة هافاس تفصيل اللوحة كما نشرت الجرائد الفرنسية الخبر مما أحدث تأثيرا كبيرا بين الفرنسيين الذين اعتبروا هذا العمل استنجادا بفرنسا لا بد أن تنهض له . يضاف الى ذلك أن الجرائد الانجليزية علقت على هذا الموضوع مما زاد هذا العمل أهمية وجعل تأثيره شاملا (٨١) .

(٧٨) محمد حسين هيكل : شخصيات مصرية وغربية ، ص ٥٢

(٧٩) أحمد شفيق : مذكراتى في نصف قرن ج ٢ ، ص ٢٠٠

(٨٠) محمد حسين هيكل : المرجع السابق ، ص ٥٢ — ٥٣

(٨١) د. محمد أنيس : صفحات مطوية ، رسالة من مصطفى كامل الى عبد الرحيم أحمد في ٨ يونيو ١٨٩٥

والجدير بالذكر أن نشاط مصطفى كامل في أوروبا لم يقتصر على فرنسا وحدها بل امتد إلى النمسا فذهب مصطفى إلى عاصمتها فيينا كما سافر إلى برلين وبودابست واتصل بكبار السياسيين والصحفيين وكسب بعض الأنصار لقضية بلاده (٨٢) .

وفي ١٤ أغسطس ١٨٩٥ نشر مصطفى كامل أولى رسائله السياسية بالفرنسية تحت عنوان (أخطار الاحتلال البريطاني) أوضح فيها للعالم الأوروبي أن الاحتلال لم يكن خطرا على حقوق مصر فحسب بل على المصالح الأوروبية عامة كما تضمنت هذه الرسالة شرحا وافيا للمسألة المصرية ، وقد أرسل مصطفى كامل نسخا من هذه الرسالة إلى رجال السياسة والصحف الشهيرة بأوروبا (٨٣) وبذلك استطاع أن يوضح لقراء الصحف الأوروبية حقيقة المسألة المصرية وقائما وأساليب ساسة انجلترا في حكم مصر .

ونتيجة للقطيعة التي حدثت بين مصطفى كامل والمسئو دولونكل اتصل الزعيم الشاب بالسيدة الفرنسية جوليت آدم Juliette Adam صاحبة المجلة الشهيرة لانوفيل ريفو Le Nouvelle Revue وكان تعرف مصطفى كامل بها حدثا هاما في حياته السياسية لأنها كانت من أبرز شخصيات فرنسا في عالم الوطنية والسياسة والأدب (٨٤) ، وقد اطلع مصطفى كامل على مجلتها ، ووقف على مثلها العليا التي تحرك قلمها كما أراد أن ترشده بنصائحها بعد أن وجد فيها أما روحية (٨٥) فأرسل لها خطابا أوضح فيه حبه لوطنه وآماله الكبار في نهضة بلاده فقال : « انى لا أزال صغيرا ولكن لى آمالا كبارا ، فانى أريد أن أوقظ في مصر

(٨٢) الرافعى : مصطفى كامل ، ص ٧٢

(٨٣) ترجمت جريدة المؤيد هذه الرسالة ونشرتها في عددها الصادر بتاريخ ٢٨ أغسطس ١٨٩٥

(٨٤) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٥٨

(٨٥) أحمد رشاد : مصطفى كامل حياته وكفاحه ، ص ٧١

الهرمة مصر الفتاة .. هم يقولون أن وطني لا وجود له ، وأنا أقول يا سيدتي أنه موجود ، وأشعر بوجوده بما آتني له في نفسي من الحب الشديد الذي سوف يتغلب على كل حجب سواء وسأجود في سبيلهم بجميع قواي وأفنديه بشبابي ، وأجمل حياتي وقفاً عليه ^(٨٦) » ثم طلب منها المعونة لما تتميز به من الوطنية والدفاع عن الحق فقال : « وقد قيل لى أكثر من مرة أنى أحاول محالا ، وحقيقة تصبو نفسى الى هذا المحال ، فأعينينى يا سيدتى فانك من الوطنية بمكان يفردك بمزية تقديم قولى ، وتقوية عزمى ومساعدتى ^(٨٧) » .

وقد ردت جوليت آدم على خطاب مصطفى كامل برسالة أوضحت فيها استعدادها لمعونته ، كما فتحت له أبواب مجلتها لكي ينشر فيها مقالاته كما فتحت له أيضا أبواب الصحافة الفرنسية وعرفته بكبار الرجال في فرنسا ، كما رتبته له مقابلة مع المسيو دلكاسيه وزير الخارجية الفرنسية عرض فيها مصطفى كامل تطورات القضية المصرية منتقدا سياسة فرنسا في مصر ^(٨٨) .

وقد تتبع جوليت آدم أحوال القضية المصرية وكانت بالنسبة لمصطفى كامل بمثابة الأم ، وكان مصطفى كامل لا يقدم على الأمور الهامة في أغلب الأحيان إلا بعد استشارتها ويتضح ذلك من خطاباته التي كان يرسلها لها « انك الوحيدة التي تستطيعين أن تقولى لى اذا كتبت في الطريق السوى أم لا ؟ » .

« إن جراحاتى الوطنية تسيل منها الدماء بخزارة ، وانى في حاجة

(٨٦) على فهمى كامل : رسائل مصرية فرنسية ، ص ٣ - ٧ رسالة من مصطفى كامل الى جوليت آدم بتاريخ ١٢ سبتمبر ١٨٩٥ .

(٨٧) جوليت آدم : انجلترا في مصر ، ص ٢٢٣ .

(٨٨) مذكرات محمد فريد : مخطوطة رقم ١ خطاب مصطفى كامل الى محمد فريد في ١٠ أغسطس ١٨٩٨ .

الى وجودى بجانب القادر الذى يحضى ويهضى ويهضى بحيوته » ،
« انى سأظل مدى الحياة أوفى أولادك وأكثرهم ولاء لك » ، « وعندما
تثبط همى أبعد بروحى لتتروى من منهل الأمومة الذى كثيرا ما شدد
أزرى (٨٩) » .

ونتيجة لتوثق صلة مصطفى كامل ببوليت آدم ازداد نشاطه في
أوروبا حتى وصل الى إنجلترا فقدم أرسل مصطفى كامل الى المستر
جلايستون رئيس الوزراء الانجليزي السابق بمذوق رسالة يسيط فيها
أهلى مصر الوطنية التى تنحصر في جلاء الانجليز عنها (٩٠) كما عمل
على تشكيل كتلة من دول أوروبا وبالإذات من فرنسا وألمانيا وبرسها
للماصرة القضية المصرية ، وحذاء الأمل في اجلاء الانجليز عن مصر في
مدة لا تزيد عن عام ونصف (٩١) .

وقد ظلت بوليت آدم تتابع نشاط مصطفى كامل ، وظل مصطفى
كامل يحيطها بما يحول في نفسه ويضيف اليها أخبارا فمعهذا عزم على
تأسيس اللواء أرسل لها بلفها بذلك فردت عليه مشجعة ومهتة (٩٢) .

وعندما وقع حادث فاشودة لم يتردد مصطفى كامل في انتقاد
سياسة فرنسا والأعراب عن أسفه لموقفه غير المشرف فأرسل الى
بوليت آدم يقول : « أنت الوحيدة التى تمثل ألام عني فرنسا
القديمة ، فرنسا الهمة والإقدام ! ان السياسة الأوروبية توغض الى يكله
جوارحى المدنية الحديثة ، ولكن السياسة الفرنسية تعكس أجرى وتجلنى »

(٨٩) انظر : رسائل مصرية فرنسية .

(٩٠) من هذه الرسائل ورد جلايستون منها .

انظر : الراعى بـ مصطفى كامل ، ص ٦٤ — ٦٨ .

(٩١) مذكرات مصطفى كامل : خطابات من رقم ١ الى رقم ٤ من ٨

يونيو الى ٦ يوليو ١٨٩٥

(٩٢) على نفس كليل : المرجع السابق ، ص ٥٩ — ٦١ .

ذاهلا أمام التناقض الغريب المسطور في تاريخها عجبا ! أنسيت
فرنسا ناشودة ؟ (٩٢) » .

ولكى يوطد مصطفى كامل علاقة الود بينه وبين جوليت آدم دعاها
الى زيارة مصر فلبت الدعوة وجاءت اليها في ١٩ يناير ١٩٠٤ فاستقبلها
مصطفى كامل وزملاؤه الوطنيون استقبالا حافلا ، وقد لبثت جوليت آدم
بمصر نحو ثلاثة أشهر (٩٤) شهدت خلالها عدة مآدب (٩٥) كما أنها
حضرت حفل توزيع الجوائز على الطلبة المتفوقين في مدرسة مصطفى
كامل يوم ١٩ فبراير ١٩٠٤ (٩٦) ، وفي مساء ٢٤ فبراير أولم الخديو
عباس الثانى وليمة عشاء فاخرة في قصر القبة تكريما لجوليت آدم (٩٧) .

وقد غادرت جوليت آدم مصر بعد أن شاهدت الحركة الوطنية
التي بعثها مصطفى كامل وما أن وصلت الى بلادها حتى نشرت مقالين
عن رحلتها لمصر في مجلتها « لانوفيل ريفو » الأول تحت عنوان « مصر
الفتية » والآخر تحت عنوان « فرنسا ومصر » انتقدت فيه تخاذل
سياسة فرنسا تجاه مصر كما أوضحت « أن كل الإصلاحات التي تمت
بمصر وضع أساسها الفرنسيون ثم ادعاها الانجليز لأنفسهم » .

وقد ترجم مصطفى كامل المقالين في اللواء ، مما أثار حفيظة اللورد
كرومر الذي اعتبر استقبال الخديو لجوليت آدم عملا عدائيا
للانجليز (٩٨) فأرسل الى حكومته التي طلبت منه أن يخبر الخديو بأن
يبتعد عن كل ما يؤدي الى الاعتقاد بأنه موجه ضد بريطانيا فكان رآه

(٩٢) على نهى كامل : ص ٦٩ خطاب أرسله مصطفى كامل من

بودابست الى مدام جوليت آدم في ٢٨ يونيو ١٩٠٠

(٩٤) جوليت آدم : المرجع السابق ، ص ٢٦

(٩٥) احمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ ، المجلد الثاني ، ص ٣٩

(٩٦) الرافعي : المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

(٩٧) نفسه .

(٩٨) على نهى كامل : المرجع السابق ، ص ١٢٥ — ١٣٥

الخدوي أنه يعرف جوليت آدم منذ سنوات وأنها استضافته أثناء زيارته لفرنسا وكان من الواجب رد هذه الزيارة بدعوتها الى مأدبة عشاء خالية من أى مغزى سياسى .

ورغم تخلى فرنسا عن مصر وعقدها الاتفاق الودى مع انجلترا عام ١٩٠٤ فإن علاقة مصطفى كامل بجوليت آدم كانت فوق مستوى الأحداث . حقيقة أنه عبر لها عن استيائه واستياء المصريين من الاتفاق بقوله : « ان مواطني يكرهون اليوم فرنسا أكثر من انجلترا نفسها^(٩٩) » ولكنه ظل على اتصال بها يخبرها بما حققه لوطنه ، وما تعانيه بلاده من آلام ، كما كان يوضح لها ظروفه الصحية ، وقد ظل على ذلك حتى وافته المنية .

ومما سبق يتضح أن مصطفى كامل قام بالدعاية لقضية مصر في الخارج مستهدفا ما يلى :

١ — توضيح القضية المصرية أمام الراى العام الأوروبى واظهار رغبة المصريين فى أجلاء الانجليز عن مصر .

٢ — كسب أصدقاء جدد للقضية المصرية فى أوروبا .

(٩٩) على نهى كامل : المرجع السابق ص ١٣٥ ، خطاب بتاريخ ١٠ مايو ١٩٠٤